جماليات المكان

في شعر الاتجاه الرومانسي

دراسة في النقد البيئي

د.هناء محمد مصطفى

باحثة في النقد والأدب الحديث

ملخص:

حاولتُ في هذا البحث أن أكشف عن جماليَّات المكان شعر الاتجاه الرومانسي، اعتمادًا على ما يُسمَّى بالنقد البيئي، ولتحقيق ذلك الهدف جاءت الدراسة في هذه المقدمة، وتمهيد ومباحث أربعة، وخاتمة، على النحو التالي:

تمهيد: مدخل في الجماليات.

المبحث الأول: المدرسة الرومانسية وأهمية عنصر المكان.

المبحث الثاني: الهروب إلى الطبيعة من بؤس المدينة وجفافها.

المبحث الثالث: التقنيات الإيكولوجية عند الرومانسيين.

المبحث الرابع: المكان بين التشكيل اللغوي والصورة الشعرية.

خاتمة: بأهم النتائج التي توصلت إليها دراسة جماليات المكان في الشعر الرومانسي، حيث جاءت على النحو التالي:

١- أنَّ المكان من أهم العناصر التي تشكل جمال النص بوجه عام.

٢- أنَّ الرومانسيين قد عانوا الاغتراب الحقيقي والمعنوي عن المجتمع والوطن والأهل وتجلى ذلك في شعرهم.

٣- ظهر ملمح استعادة الماضي المجيد بمفرداته البيئية عند شعراء الرومانسية وبخاصة الشابي.

٤- أنَّ أهم ما تتميز به لغة الشعر الرومانسي هو أنها تستمد مفرداتها من الطبيعة وتحملها دلالات شعورية.

٥- احتفت الصورة الشعرية بالمكان عند الرومانسيين خاصة إبراهيم ناجي.

٦- أنَّ الرومانسيين اتجهوا إلى بحور الرَّمَل والخفيف والهزج وقلَّما استعانوا ببحور البسيط والطويل والوافر.

The aesthetics of the place in romantic trend poetry study in environmental criticism A

Dr. Hanaa Mohamed Mustafa

Abestract:

I tried in this research to reveal the aesthetics of the place felt the romantic trend, depending on the so-called environmental criticism, and to achieve that goal came the study in this introduction, and the preparation and investigation of four, and the conclusion, as follows:

Introduction: Introduction to aesthetics.

The first topic: Romance school and the importance of the place element.

The second topic: Escape to nature from the misery of the city and its dryness.

The third topic: Ecological techniques in romanticism.

The fourth topic: the place between the linguistic composition and poetic image.

Conclusion: The most important findings of the study of the aesthetics of the place in romantic poetry, which came as follows:

1 - The place is one of the most important elements that constitute the beauty of the text in general.

2 - The anti-Romantians have experienced the real and moral alienation from the community and the homeland and the family and reflected in their hair.

3 - The appearance of the restoration of the glorious past appeared in the environmental vocabulary of romantic poets, especially Shabi.

4 - The most important characteristic of the language of romantic poetry is that they derive their vocabulary from nature and bear the connotations of poetry.
5 - celebrated the poetic image of the place with the romanticists, especially Ibrahim Naji.
6 - The Allromannians turned to the sea of sand and light and mixed and rarely used the simple and long and the simple.

مقدمة:

يُعَدّ المكان من أهم العناصر التي تُشَكِّل جمال النص؛ "إذ إنَّ المكان الجغرافي ينبني لغة لتشكيلات النص الجمالية المكانية حيث تبرز تعامل الشاعر مع العنصر المكاني وجوانب رؤيته له، والأهداف المتوخاة من ذلك"[1]. وكانت المقدمة الطللية في الشعر الجاهلي وجهًا وتقليدًا يُحتذى مدة من الزمن، حتى غابت عن النص الشعري؛ بفعل ما حدث من تطور في البنية الفكرية والاجتماعية للمجتمع العربي. وكان دفاع الشاعر عن قضايا الإنسان، ونضاله من أجل حريته سببًا في تشابك الأمكنة وتعددها في النص الشعري، فأضحى الحديث عن الوطن لا ينحصر في الوطن الأم للشاعر فقط، بل تعداه إلى أماكن وأوطان أخرى متجاوزًا المجال الضيق، فشمل بذلك وعي الشاعر بزمانه ومكانه وإنسانيته!

ومن الضروري أن نوضح أن ثمة فرقًا بين المكان والفضاء، الذي اصطلح عليه بعض النقاد بالحيز، فالمكان متضمن في الفضاء، أي أنَّ الفضاء أوسع وأشمل من المكان، وقد تفاوتت الرؤى والتجارب الشعرية في تناولها للمكان والفضاء لاختلاف التجارب والمرجعيات والوعي بالمكان .

وسوف أحاول تطبيق منهج نقدي بيئي في دراسة المكان لدى شعراء المدرسة الرومانسية الذين بدا اهتمامهم بالمكان في أشعارهم وقصائدهم من حيث الطبيعة وهروبهم إليها من صَخَب المدينة.

---

[1] – رسالة دكتوراه بعنوان: "جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر"– الباحث: محمد الصالح خرفي، إشراف الأستاذالدكتور :يحيى الشيخ صالح،كلية الأداب واللغات–جامعة منتوري قسنطينة٢٠٠٥-٢٠٠٦م ص١

وبدأ النقد البيئي (الإيكولوجي) كحركة مستقلة أو كمدرسة في النقد الأدبي في التسعينيات وكان في مرحلته الأولى بؤرة تجمع النقاد الأمريكيين الذين يتعاملون مع الأدب الأمريكي حصرًا، وقد أسسوا جمعية لهم باسم " جمعية دراسة الأدب والبيئة "، ومجلة "دراسات بيئية في الأدب والبيئة" كنوع من الدعم الجادّ لتلك النظرية، ومحاولة لإثبات نتائجهم وبحوثهم النقدية تلك، وإمكانية التثبت منها.

وقد اعتمد هذا النقد على معايير موضوعية، وخرج بمصطلحات جديدة عُنِيت بالمزج بين البيئة المادية والخيال، مثلما صاغ لورانس بويل مصطلح (الخيال البيئي)... ذلك المصطلح الذي يبين "إمكانية الجمع بين البيئة المادية مع موقف يشير إلى وجود "الجغرافيا الثقافية للمنطقة" هذا هو السبب في وجود الخيال الحَضَري أو خيال الجزيرة؛ حيث يؤثر المكان على المنهج الروحاني"[١].

ومن ناحية أخرى فإنَّ مفهوم المكان ذو أهمية مركزية لدراسات الأدب البيئي، واهتمام الإيكولوجية بالمكان يعكس اعترافها بالترابط بين الحياة البشرية والتاريخ والبيئات المادية التي تشهد عليها أعمال الخيال في جميع وسائل الإعلام، بما فيه الأدب، "ومن ثم فإن ادّعاء أحد متبني الإيكولوجية الأوائل بأن إضافته المميزة للثالوث المدروس بشكل شائع: العِرْق والطبقة والجنس عدّت المكان طبقة نقدية."[٢] فالنقد البيئي يقوم على ثنائية؛ فهو من جهة يعني بالظواهر الطبيعية التي عادة ما تعالجها الجغرافيا، وعلم الأحياء، كاشفا اللثام

[١]–مجلة الفصول " النقد الأدبي وتداخل الاختصاصات" – المجلد ٢/٢٦– العدد ١٠٢ ،شتاء ٢٠١٨م – مقال بعنوان "النقد البيئي– دراسة بيئية في الأدب والبيئة " – جيليكا توشيتش، ترجمة: سناء عبد العزيز، ص٣٣١.

[٢]– لورنس بيل/ أورسولاك. هيس/ كارين ثورينر، ترجمة معتز سلامة، مقال بمجلة فصول الأدبية، ص.٣٣٩

عن كون تلك الظواهر وليدة القوى الثقافية والتاريخية، وعن كونها محملة بالمعنى والمجاز.

ومن جهة أخرى يُعْنَى بما تسبَّبت فيه الثقافة من فصل بيننا وبين الطبيعة، "إذ توجد الثقافة هيراركيّات[١] تقوم على التمييز بين الإنسان وغيره من الكائنات. وهكذا فإن دراسات الأدب البيئي لا تحتكر نظرية المكان، بل تشارك الاهتمام بالمكان مع العلوم الإنسانية وكذلك العلوم الاجتماعية والتطبيقية؛ "إذ يتوافق التفكير الإيكولوجي النقدي على نطاق واسع مع الجغرافيين الإنسانيين الذين ينظرون إلى مغزى المكان على أنه مزيج من الولاء الشخصي والبناء الاجتماعي والقوالب الفيزيوجغرافية"[٢].

وقد حاولتُ في هذا البحث أن أكشف عن جماليَّات المكان في شعر الاتجاه الرومانسي، اعتمادًا على ما يُسمَّى بالنقد البيئي، ولتحقيق ذلك الهدف جاءت الدراسة في هذه المقدمة، وتمهيد ومباحث أربعة، وخاتمة، على النحو التالي:

تمهيد: مدخل في الجماليات.

المبحث الأول: المدرسة الرومانسية وأهمية عنصر المكان.

المبحث الثاني: الهروب إلى الطبيعة من بؤس المدينة وجفافها.

المبحث الثالث: التقنيات الإيكولوجية عند الرومانسيين.

المبحث الرابع: المكان بين التشكيل اللغوي والصورة الشعرية.

خاتمة: بأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

---

[٣]–سلالة أصناف؛ فالمقصود فيها الأعلى والأدنى .Hierarchy

٣–مقال بعنوان " الأدب والبيئة " – لورنس بيل ، أورسولا ك ، هيس ، كارين ثوربنر ، ترجمة : معتز سلامة ، مجلة الفصول ، ص ٣٣٩ .

تمهيد:

مدخل في الجماليات:

لا شكَّ أنَّ" الحاجة الجمالية هي أرسخ الحاجات التي تميز الكائن البشري، ومن أكثرها ثباتًا وقوة، وهذه الحاجة لا يُصَار إلى ممارستها في الميدان الخاص والمحدود للفنون الجميلة فقط –حيث تجد في الحقيقة كفايتها الأكثر سموًّا وصفاءً وكثافةً – وإنما تلقاها أيضًا كقوة مُحَرِّكة ومُوَجِّهة ومُتَمِّمة ومشرفة ومستشرقة معًا في مختلف ميادين النشاط الإنساني، كما نلقاها في الإطار العلمي البحت، بمقدار ما نجدها في الإطار الروحاني والمعنوي الأسْمَى" [1].

إذن فالجمال هو القيمة الحقيقية للنص وهو الذي يسعى القارئ دومًا إلى إدراكه وتذوقه، ولا يمكننا بحال من الأحوال أن نستسلم لفكرة الفن للفن، فلم يعد لها مكان في ساحة النقد، فالنص الأدبي كلٌّ متكامل، لابد من أن تتوافر فيه الشروط الجمالية، بالإضافة إلى رسالة ما أو فكرة معينة وإلا أضحى عبثًا! وكل عنصر في ذلك النص الأدبي يرتبط بالآخر ليشكل جماليته، التي تتكون من اجتماع عناصر متعددة في النص، ذلك كما تشترك في إدراكه وتذوقه حواس مختلفة تتفاعل مع القلب والعقل لتخرج بالتصور الجمالي، والمتعة الفنية المنضودة.

وإذا نظرنا إلى لفظ الجمال أو الجماليات في اللغة، نجده عند ابن منظور: "مصدر الجميل، والفعل جَمُل وقوله عز وجلَّ: (وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ)، وجَمُل الرجل (بالضم) جَمَالا فهو جميل، والجُمَّال بالضم والتشديد أجمل من الجميل، وجَمَّله أي زيَّنه، والتَّجَمُّل تكلف الجميل. جَمَّل الله عليك تجميلا إذا

[1] –إتيان سورير، الجمالية عبر العصور، ترجمة ميشال عاصي، منشورات عويدات، ط٢، ١٩٨٢م، ص٣١٥.

دعوت له أن يجعله جميلا، والله جميل يحب الجمال " أي حَسَن الأفعال كامل الأوصاف. "[١] .

وفي معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة "أنَّ الجمالية نزعة مثالية تبحث في الخلفيات التشكيلية للنتاج الأدبي والفني، وتختزل جميع عناصر العمل في جماليته، كما ترمي النزعة الجمالية إلى الاهتمام بالمقاييس الجمالية بغض النظر عن الجوانب الأخلاقية، انطلاقًا من مقولة الفن للفن "[٢] .

وقد ارتبط علم الجمال في بداية نشأته بالمباحث الفلسفية، منذ أن بدأ مع أفلاطون وأرسطو، لإبراز الحَسَن من الرديء والجميل من القبيح، ثم استقلَّ علمًا منفصلا مع بداية النهضة الأوربية.

والجمالية "هي البحث العقلي في قضايا الفن على اختلافها من حيث إن الفن صناعة، خلق جمالي، لها أصولها المتنوعة ولها حرفيتها التقنية الخاصة، غير أن البحث العقلي في قضايا الفن والأدب حتى يرقى على مستوى الجمالية ويصبح في نطاق علم الجمال، لابد من أن يكون النظر فيه مستندًا على نظرة فلسفية عامة للحياة، والكون" [٣].

وقد كان للنظرة الجمالية مكانها وأهميتها في الأدب العربي القديم، وإن اختلفت عن النظرة الجمالية الحديثة، فقد اعتمد الشعر في بدايته على السماع، فكان للسماع جمالياته من الفصاحة والبيان واستعمال النبر وغير ذلك، كل هذه

---

[١]–ابن منظور : لسان العرب ، تصحيح : أمين عبد الوهاب ومحمد صادق العبيدي ، ج٢ ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، ط١ ١٩٩٦م.

[٢]–سعيد علوش : معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (عرض وتقديم وترجمة) ، دار الكتب اللبناني ، بيروت ، سوشبرس ، المغرب ، ط١ ، ١٩٨٥ ،ص٦٢.

[٣]–ميشال عاصي: مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ، مؤسسة نوفل، بيروت، ط٢، ١٩٨١م ، ص٢٠.

العناصر إضافة إلى النص وما يحتويه من جماليات لغوية وإيقاعية، وهو المتعارف عليه آنذاك بعمود الشعر، إذا راعى المبدع ذلك في قصيدته، ضمن ذلك له ولقصيدته الانتشار والبقاء.

وقد تجلت هذه النظرية الجمالية في الشعر العربي القديم في أبرز صورها في عمود الشعر، الذي حدده القاضي الجرجاني في كتابه الوساطة في[١]:

١- شرف المعني وصحته.

٢- جزالة اللفظ واستقامته.

٣- إصابة الوصف.

٤- مقاربة التشبيه.

٥- غزارة البديهة،

٦- كثرة شوارد الأمثال .

وهذا التركيز على جمالية الأداء التعبيري عند نقادنا القدامى، والقائمة غالبًا على مفهوم التناسب أو التناسق، "كان بدافع وعيهم بأن ذلك يمدُّ الصياغة اللفظية بالدفء والخصوبة لكون القدرة الإبداعية هي قدرة على توفير هذا المفهوم"[٢].

ثم كانت نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني، التي ذكرها في كتابه دلائل الإعجاز؛ فقال: "اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضعَ الذي

[١]- القاضي الجرجاني ، الواسطة بين المتنبي وخصومه ، تقديم وتحقيق : أحمد عارف الزين ، دار المعارف للطباعة والنشر تونس ،ط١ ،١٩٩٢م،ص٣٣.

[٢]-عبدالقادر فيدوح، الجمالية في الفكر العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا، ط١، ١٩٩١م، ص٥٠.

يقتضيه علمُ النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رُسِمَت لك فلا تُخِلّ بشيءٍ منها"[١] .

ثم بَسَط وزاد في شرح تلك النظرية – وهي نظرية العلوم – حازم القرطاجني، في كتابه منهاج البلغاء وسِراج الأدباء، فكانت رؤيته مرتبطة بالسند الأخلاقي والسياسي، والفني، والاجتماعي، والصراع بين القديم والجديد، والبلاغة العربية وخصوصيتها، ومتطلبات الواقع التي يسعى العمل الأدبي إلى تجسيدها بطريقة جمالية تلقى القبول والاستحسان من الآخر.

ولكي ينال العمل الأدبي القبول لدى المتلقين لابُدَّ أن يشتمل على قيم جمالية وشعرية، "والشعرية تطلق على العمل الأدبي الغزير الخيال المتفجر التعبير، والشعرية صفة تستعمل في الشعر والنثر على السواء وتستمد تعبيرها من النظام الشعري، وتستعير عناصره أيضًا قدر الإمكان، وبنسب متفاوتة من كل نوع أدبي، والشعرية قريبة من الغنائية، حيث تلعب الوجدانية بدرجة عالية في التعبير إلى جانب الخيال"[٢].

وإبراز الملمح الجمالي في النص لا يكون إلا مع النقاد المتميزين، الذين يجمعون إلى جانب الأداة المعرفية الموهبة والخبرة، والحس الجمالي المرهف، فيترجمون النص للقراء الذين لا يستطيعون النفاذ إلى جوهره، وبذلك يكتشفون ما لم يسبق لهم معرفته.

[١] – عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، الهيئة العامة للكتاب، مصر، ط١ ٢٠٠٠م ،ص٨١.

[٢] –كمال عيد ، فلسفة الأدب والفن ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا – تونس ، ط١ ، ١٩٧٨م،ص١٧٧ .

المبحث الأول:

المدرسة الرومانسية وأهمية عنصر المكان:

يقول الدكتور محمد غنيمي هلال:"من العسير أن تعطي تعريفًا قصيرًا لهذا المذهب المعقد الجوانب، وكثيرًا ما يؤدي تعريف الأشياء على هذا النحو إلى تنظيرها والتضليل في مفهومها"[١].

وقد ورد في دائرة المعارف البريطانية، في تعريف الرومانسية : "أنها كلمة انحدرت من الفرنسية القديمة وتطلق على الأعمال الخيالية خاصة في الملاحم النثرية، وهي في المعنى اللغوي تستعمل كمقابل للكلاسيكية، وتعني شيئًا شعبيًّا مغامرًا من غير تشكل، وتطورت الرومانسية في كل البلدان مسبوقة بانهيار المجتمعات الأرستقراطية وتوضيح الطريق والرغبة في النهضة لدى الطبقات الوسطى، كما ترتبط بسقوط الكلاسيكية والجانب المثير في الشعور الإنساني ليكون مؤكدًا عليه" [٢].

ثم تطور المفهوم فأصبحت –الرومانسية– تُطلق على المناظر الطبيعية والحوادث الخرافية والأساطير الخيالية، وأصبح ذلك الاتجاه الشعري مقابلا للكلاسيكية من ناحية الشكل الفني والتعبير العاطفي .

ومن عوامل نشأة الرومانسية، العوامل السياسية والاجتماعية، تلك المتمثلة في الانتفاضات التحررية التي هزت أوروبا في القرن الثامن عشر، تلك التي نتجت عنها قيم جديدة وتحولات اجتماعية أدَّت إلى سيادة الطبقة البرجوازية التي قادت النضال في سبيل التحرر السياسي والثقافي من الطبقة الأرستقراطية، وقد توج نضالهم بقيام الثورة الأمريكية عام١٧٦٥م، والثورة الفرنسية عام١٧٨٩م، وما لها من تأثير في دفع الحركة الرومانسية إلى الأمام.

[١]– د. محمد غنيمي هلال، "نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د،ط، سبتمبر ٢٠٠٣م ، ص٣ .

[٢]– د. وادي طه، "شعر ناجي – الموقف والأداة" ، دار المعارف، القاهرة ،ط٢ ،١٩٨١، ص ٣٧ .

أما العامل الفلسفي فيبدو في المفاهيم الفلسفية التي مجدت العاطفة، ومهدت للإحساس والشعور، فالرومانسية "لم تبلغ هذه المرحلة المناهضة لإمبيريالية الدولة والعقل إلا عندما تهيأت لها العلاقة بين الفلسفة وعلم الجمال لدى كانط من خلال علم الجمال المثالي"[١].

وفي ضوء تلك الفلسفة المثالية، يتقدم الشعور والوجدان والعاطفة على العقل والخبرة والتجربة ؛ فالفن في هذا السياق تعبير عن الصورة الخاصة للعالم، وهي الصورة التي خلقتها الذات معتمدة على الشعور والوعي العاطفي الخاص للشاعر.

والرومانسية في الشعر اتجاه إنساني انصهر في بوتقته الشرق مع الغرب فاتضح جليا تأثر الرومانسية بالأدب العربي ...." فقد كان استلهام أدب الشرق العربي سمة من سمات نشأة الرومانسية في ألمانيا وفرنسا"[٢].

كما يرى الدكتور عبد الحفيظ حسن[٣] أنَّ الشابي يلتقي في نظرته للطبيعة مع (ورد زورث)، ذلك الشاعر الإنجليزي الذى عاش قبله بأكثر من قرن – إذ يرى ورد زورث أن الإنسانية جزء من الطبيعة، فالإنسان والطبيعة عنده شيء واحد، وليس هناك انفصال ولا تمييز بين حياة الإنسان وحياة الطبيعة[٤].

وكذلك يرى الشابي أن قمة السعادة عنده أن يترك حياة الناس وشرورهم ويعيش في الغاب بين الزهور والأطيار، يقول:

---

[١] " محمد بنيس ، " الشعر العربي الحديث " ، بنياته وإبدالاته الرومانسية العربية ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء المغرب ، د،ت،ص٢١ .

[٢] – د. طه وادي " شعر ناجي – الموقف والأداة " ، ص ٣٩ .

٢- انظر: المرجع السَّابق نفسه، الصفحة نفسها.

٣- انظر: وليم ورد زورث، قشور ولباب، تعريب د. زكى نجيب محمود الأنجلو ١٩٥٧.

فـــي الغـــابِ فـــي الغـــابِ الحبيـــب وإنـــه حَـــرمُ الطبيعـــةِ والجمـــالِ السَّـــامِي
طهَّـــرتُ فـــي نـــارِ الجمـــالِ مشـــاعري ولقيتُ في دنيا الخيالِ سلامِي سكْرَى
ونســـيتُ دنيـــا النـــاسِ فهْـــيَ ســـخافةُ مـــــــن الأوهـــــــام والآثـــــــام

ثم نأتي إلى المدرسة الرومانسية في العصر الحديث (الديوان – الرابطة القديمة – أبولو)

١- مدرسة الديوان :

كان ظهور مدرسة الديوان في الحياة الأدبية تعبيرًا عن مرحلة جديدة تتسق مع تطور حركة الإبداع الشعري التجديدي في مواجهة الحركة التقليدية التي كانت تحتل المكان الأول، وكان يقف على رأس هذه المدرسة عباس محمود العقاد إلى جانب زميليه عبد الرحمن شكري، وإبراهيم عبد القادر المازني.

وقد كان أعلام تلك المدرسة الثلاثة على قدر كبير من الثقافة – لا سيَّما الثقافة الإنجليزية – وقد درسوا أدبها وأخذوا من شعرها ونقدها عددًا من الأصول والمفاهيم، وأدخلوها في شعرهم ودعوا إليها في نقدهم، فمن ذلك حرصهم في دعوتهم إلى تخليص الشعر من صَخَب الحياة وضجيجها، والتعبير عن الذات، وقد عبر عبد الرحمن شكري عن ذلك في بيت من الشعر صدَّر به ديوانه الأول "ضوء الفجر "، الذي صدر عام ١٩٠٩م ؛ فقال :

أَلَا يَا طَائِرَ الفِرْدَوْ سِ إنَّ الشِّعْرَ وُجْدَانُ[١]

٢- الرابطة القلمية:

هي المدرسة التي نشأت في المهجر الشمالي، وتعد من أبرز المدارس الرومانسية، التي أسهمت بقدر كبير في تطور الشعر العربي وتخلصه من

[١]- عبد الرحمن شكري ، ديوانه ، جمع وتحقيق " نقولا يوسف ، دار المعارف بالإسكندرية ، ١٩٦٠م ، جـ١ " ضوء الفجر " ، من قصيدة " عصفور الجنة ، وهي ضمن قصائد الجزء الثالث من ديوان شكري ، ص ٢٢٦ .

التقليد، وإلصاقه بحالات النفس البشرية في صراعها مع الحياة والأحداث، ذلك إلى جانب اهتمامهم بالمنهج الفلسفي والطبيعة والوجدان، حسبما دعت مبادئ الشعر الرومانسي، ظهر ذلك جليّا في إنتاج شعراء هذه المدرسة، أمثال جبران خليل جبران، وإيليا أبو ماضي، وميخائيل نعيمة وغيرهم، ذلك إلى جانب تحررهم من القديم والثورة عليه، وغَلَبة المعنى الإنساني الفردي على المعنى القومي، وكانت لديهم الجرأة والحرية المطلقة في نشر مبادئهم تلك ومراعاتها في كتابة أشعارهم لأنهم كانوا أكثر اتصالاً بالغرب وأدبه، "ولقد أسهمت الهجرة إسهامًا كبيرًا في أن يتجه أدبهم اتجاهًا إنسانيًّا خالصًا، فأكملت فيهم ملامح الرومانتيكية، وجعلهم يستمرؤون العزلة والانطواء، وأكسبت أدبهم طابع القلق الصادر من الغربة وبذور ظاهرة الهروب والخلاص من العالم المرئي، ومحاولة استبطان الذات وكشف أغوارها وأسرارها " [1].

٣- مدرسة أبولو :

يعني الاسم " أبولو" في الأسطورة اليونانية القديمة إله الشمس والعلوم والفنون والصنائع، وقد ظهرت هذه المدرسة بعدما فسدت الحياة الأدبية وتشتت شعراء مدرسة الديوان، فأضحى العقاد متجهًا ناحية السياسة والمازني ناحية النثر والصحافة، أما ثالثهم عبد الرحمن شكري فاعتزل الحياة الأدبية برمتها .

اختطّ أصحاب مدرسة أبولو لأنفسهم فهمًا ومنهجًا في الحياة الأدبية يَحْتذى التيار الرومانسي الذي أرسى دعائمه شعراء الديوان، وتجنبوا المزالق التي وقع فيها أصحاب الديوان من حيث التطبيق الشعري للمفاهيم النظرية.

[1]- أنس داؤود، "التجديد في شعر المهجري، دار الكتاب العربي- القاهرة ، ١٩٦٧م ، ص١٨٣.

"كانوا يعيشون في ظروف واحدة، فأحسوا جميعًا الفرق بين أحلامهم وطموحهم، وبين واقع الحياة المرير الذي حطَّم أمانيهم، ولفح بضِرامه نفوسهم المرهفة الرقيقة، فانطووا جميعًا في عزلة يبكون أحلامهم الضائعة ويهرعون إلى الطبيعة أمِّهم الحنون، يغسلون في رحابها أوزار نفوسهم، ويلوذون بأحضانها لتقيهم هجير الحياة، وراحوا يتفلسفون ويتأملون، تراهم أحيانًا متصوفين، وأحيانًا شاكين متمردين يتساءلون ما الوجود، وما العدم، ولماذا جئنا، وأين المفر؟"[١].

وقد امتزج الشابي بالطبيعة حتى صار يُحس بها، وصارت هي تحس به، "يشاركها آلامها وأساها، وتشاركه أحزانه وهمومه، فهى جزء منه، وهو جزء منها. يسير في الطبيعة كأنه راعٍ يتفقد رعيته، فإذا وجد أحدهم مقطبا واجما أزال همه وسرَّى عنه، يرى زنبقة وحيدة نبتت في السفح، فيسألها مستنكرا ما هي فيه من لوعة قاسية:

أَزنبقـــــةَ السَّـــــفحِ؟ مـــــالي أراكِ تعانقُـــــكِ اللَّوعـــــةُ القاســـــيهْ؟[٢]
أفـــي قلبِـــكِ الغـــضِّ صـــوتُ اللَّهيـــبِ يُرتِّـــــلُ أنشـــــودةَ الهاويـــــهْ

نداء رفيق كأنه الهمس باستخدام الهمزة لقربها من نفسه، فحالها شبيه بحاله في التفرد والعزلة والحزن والاكتئاب، فهى ليست زنبقة عادية، ولكنها مثله تنمو وحيدة غريبة على السفح."[٣]

---

[١]–د. عبد العزيز الدسوقي ، " جماعة أبولو وأثرها في الشعر الحديث " ، معهد الدراسات العربية العالمية ، القاهرة ، ١٩٦٠م، ص ١٧٢.

(١) المرجع السابق. ص٣١.

(٢) الرومانسية في الشعر العربي المعاصر: شعر أبي القاسم الشابي نموذجًا،مرجع سابق، ص:١٢٧، ١٢٨.

المبحث الثاني:

الهروب إلى الطبيعة من بؤس المدينة وجفافها:

تُعَدُّ الطبيعة عنصرًا رئيسًا في تجارب الشعراء الرومانسيين، ومن بين هؤلاء أبو القاسم الشابي، "فقد ظفرت الطبيعة في شعره بنصيب كبير، ...فحين يدعو شعبه إلي الحرية يذكرهم بحرية الطيور والنسيم والنور، وإذا دعاهم إلي التجديد ذكرهم بتجدد الطبيعة وتعاقب فصولها. فقد اتحدت روحه بجمال الطبيعة، وراح يقبس منها الروح والحرارة في شعره، فكانت الطبيعة عينه التي ترى، وأذنه التي تسمع، وقلبه الذي يخفق بالحب والحنان"[١].

فدائما يهرب الرومانسيون في أشعارهم إلى الطبيعة لائذين بصفائها من كدر الحياة "ويغسلون في طهرها ما يصيبهم من رجس العيش، ويجدون في رحابتها متنفسًا من ضيق وتأزم، كل هذا بما يخلعونه عليها من خيال مجنح، وهو الذي يجعل لحديثهم عن الطبيعة قيمة إبداعية يفتقدها الموروث الشعري القديم "[٢] .

فالشاعر الرومانسي عميق الإحساس بالطبيعة في جميع مظاهرها، يستلهمها ويستوحي أسرارها، وتوحى إليه أقل الورود شأنا حتى لتفجر دموعه[٣].

١- الرومانسية في الشعر العربي المعاصر: شعر أبي القاسم الشابي نموذجًا، د.عبد الحفيظ محمد حسن، مكتبة الآداب، ط١، القاهرة، ٢٠٠٩م.٢٠٠٩، ص: ١٢١.

٢- رسالة دكتوراه بعنوان : (التيار الرومانسي في الشعر العربي الحديث – دراسة تحليلية تاريخية) – جامعة النيلين / كلية الدراسات العيا / قسم اللغة العربية / إعداد : أسامة خليل عبد الحافظ ، إشراف : دد. عبد الله محمد أحمد ، ٢٠٠٩م ، ص ١١٦ .

٣- انظر: د. محمد غنيمي هلال " الرمانتيكية " ، ص ١٧٠-١٧١ .

ولذلك تفسيره، فربما كان بسبب احتفاء الرومانسية بالمشاعر الفردية، والأحاسيس والذوق الخاص، والتحرر من طور الانتماء الجماعي للشعراء القدامى .

- يقول نسيب عُرَيْضة :

نَفْسِي عَلَى عَهْدِ البَوَا دِيَ لَمْ تَزَلْ بَيْنَ الخِيَامِ
وَلِجَلْسَةٍ عِنْدَ الَمسَا ءِ لَدَى الغَدِيرِ بِلَا كَلَامِ
أَجْدَى إِلَى قَلْبِي مِنَ الضَّوْ ضَاءِ في المُدُنِ العِظَامِ[1]

إنَّ تصوير الريف باعتباره موئلا وملاذًا من الحضارة الحديثة هو اختراع حديث، الدافع إليه هو الرغبة في إعادة كتابة الماضي كرد فعل للتمدين والتحول إلى الصناعة، هو في الوقت نفسه نتيجة لمخاوف تاريخية حقيقية من أن نجد أنفسنا في عالم " يُعْلى من شأن القيم الاستهلاكية بدلا من تقبل الناس والأشياء والاستمتاع " [2].

وإذا ما أردنا أن نُمْسك بجغرافية الأبيات التي بين أيدينا وصوغها الشعري، نجدها تتوزع على قسمين متقابلين:

الأول: يضم مفردات الطبيعة وبساطتها ؛ وهي (البوادي – الخيام – الغدير)

والقسم الآخر المقابل: الذي جاء جمعًا وهو (المدن العظام)!

فالشاعر هنا في مقابلة بين قسيمين، وقلبه في المنتصف، ونلاحظ أنَّ القلب اتخذ موقعًا مكانيًّا بين القسيمين المتقابلين أيضًا، فنجد الشاعر يرى في البيئة الريفية بمفرداتها المتنوعة منجمًا خصبًا في ناظرته، ومخيلته فيعزف على أوتارها في ثلاث مفردات، لا تحتاج إلى كلام، ونلحظ الصمت الكافي الذي يدل على السعادة الداخلية، التي هي أجدى إلى القلب، الذي تحوَّل إلى متسع

[1] – نسيب عريضة ، ديوان " الأرواح الحائرة " ، ط نيويورك ١٩٤٦م،ص٢٦٩ .

[2] – Joe moran ,2002, interdisciplinarity, London,routledge , page 298.

لا يضيق انشراحًا بتلك الطبيعة الرَّحْبة، هي أجدى إلى القلب من المدن العِظَام بما فيها من مفردات كثيرة تفوق ما في الريف بساطة!

الحنين إلى ربوع الوطن:

أحسَّ الرومانسيون بالاغتراب المعنوي في هذا العالم، فعبروا عنه بالحنين إلى عالم نوراني صنعه خيالهم وحاكته رغباتهم الدفينة... "فَشِعْر هؤلاء الشعراء عن الحرية الذاتية قلَّ أن يتخذ صورة إيجابية ترسم معالم الحرية التي ينشدونها، لكنهم بدلا من ذلك يتحدثون عن إحساسهم بفقد الحرية ويعبرون عن ضيقهم بوطأة المجتمع وتطلعهم إلى الانطلاق من قيود التقاليد الصارمة، ما داموا قد وضعوا لأنفسهم تلك المعايير الخلقية والروحية التي تعصم انطلاقهم وحريتهم مما يدنس الروح أو يطمس الأذن، وهم يحسون بتميزهم وبما تهيئه لهم مواهبهم من تفرد ويشعرون بأنهم مغبونون لم يبلغوا من المكانة ولم ينالوا من الاعتراف ما هم جديرون به، فالحياة لا تنصف أمثالهم من الموهوبين"[١].

لكننا إلى جانب الاغتراب المعنوي عن المجتمع نراهم يقاسون الاغتراب الحقيقي عن الوطن والأهل، وقد عبروا عن ذلك في قصائد الحنين إلى ربوع بلادهم الجميلة ؛ مثلما يقول إيليا أبو ماضي:

أَنَا فِي نِيويورِكَ بِالجِسْمِ وبِالرُّوحِ في الشَّرْقِ عَلَى تِلْكَ الهِضَابِ
في ابْتِسَامِ الفَجْرِ في صَمْتِ الدُّجَى في أَسَى تِشْرِينَ في لَوْعَةِ آبِ
أَنَا في الغُوطَةِ زَهْرٌ وَنَدًى أَنَا في لُبْنانَ نَجْوى وتَصَابي[٢]

[١]- عبد القادر القط ، " الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر " ، دار النهضة العربية والنشر ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨١م ، ص٢٩٨-٢٩٩.

[٢]- إيليا أبو ماضي ، ديوان " تير وتراب " ص ٧٦ .

بيئة الشرق حاضرة في ذهن الشاعر؛ حيث (الهضاب – الغوطة – لبنان) ... المكان، والزمان (ابتسام الفجر– صمت الدجى – أسى تشرين – لوعة آب)، "ذلك الانصهار بين البيئة المكانية والزمانية في الشرق كيان خصب وسجل لبصمات الماضي المثبتة في ذاكرة الحاضر ؛ حيث إن " الحاضر على أحد المستويات ما هو إلا تعبير عن الماضي "[١] . ذلك حتى وإن اختلف مكان الإقامة الجبرية ؛ لأنها بكل وضوح، حسبما عبر الشاعر هي إقامة بالجسم فقط دونما الروح الساكنة في مَرْفَئها ووطنها العربي !

المبحث الثالث:

التقنيات الإيكولوجية عند الرومانسيين:

عنونة القصائد – عتبات للإيكولوجية:

الشعر هو "طاقة الكلام الثانية، هو سلطة من السحر والافتتان"[٢].

وإذا تأملنا قصائد الرومانسيين نجد احتفاءهم بمفردات المكان عنونة لكثير من قصائدهم ؛ بمثل ما نجد عند أبي القاسم الشابي، فإذا تأمَّلنا ديوانه نجد على سبيل المثال لا الحصر : حديث المقبرة – صلوات في هيكل الحب – طريق الهاوية – الجنة الضائعة – الغاب– تحت الغصون – تونس الجميلة – في فجاج الآلام – جدول الحب بين الأمس واليوم– في زل واي الموت–....إلخ.

[١]– سايمون ديورنغ : الدراسات الثقافية " مقدمة نقدية " ، ترجمة : ممدوح يوسف عمران ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، سلسلة عالم المعرفة ٤٢٥ ، الكويت ، يونيو ٢٠١٥م ، ص٩٢ .

[٢]– جان كوهن : الكلام السامي " نظرية في الشعرية " ، ترجمة وتقديم وتعليق : محمد الولي ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ٢٠١٣م،ص٦١ ، وانظر ، إيف ستالوني : الأجناس الادبية ، ترجمة : محمد الزكراوي ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، ٢٠١٤م،ص ١٥٧ .

الملمح النستولوجي في التشرد السياسي وضياع الأوطان والشعوب " الأفول المحايد للبيئة " ويقصد بالنستولوجيا استعادة الأيام الخالية، مع الحسرة والأسف على تلك الأيام، وهذه الظاهرة تزداد كلما بدا الحاضر يزداد حَلَكَة وسوادًا وتراجعًا.

والنستولوجيا نوعان؛ الأول "النستولوجيا الجماعية، وكأنها محاولة هروب من الحاضر، تحت وطأة التراجع المذهل والاحتباسات التي تزداد ضغطًا على خناق الأمل، خاصة أولئك الذين لم يعيشوا ذلك الماضي الجميل – على حد تعبيرهم – وإنما استلهموهم صورًا وملامح ما زالت توحي بتلك المسافة بين كيف كنّا وإلى أين انتهينا؟

النوع الآخر: النستولوجيا الفردية، وهي التي تظل مصاحبة لكل فرد، إنها شريط تقذفه الذاكرة بين الحين والآخر، هي جزء من جل حياة الإنسان، بعد عقود أرداه فيها العجز أو هَوَت به الشيخوخة، أو فقد لياقته الصحية والنفسية التي كانت، ومن الطبيعي في ظروف الفقد تلك أن يعلو الحنين لتلك الأيام الخوالي، لكنه ليس بالضرورة حنينًا لها على الدوام، فهناك من يطرد صورها من ذاكرته قدر المستطاع إذا ما كانت حياة يغلفها البؤس والشقاء والفاقة والإكراه ! .

ومن أمثلة ذلك الملمح الذي يستعيد الماضي المجيد بمفردات البيئة والوطن، والتي غدت في أسوأ حال قصيدة لأبي القاسم الشابي بعنوان تونس الجميلة، فقد بدأها بما آل إليه الأمر من ظلم وزوال ملك عظيم:

لَسْتُ أَبْكي لِعَسْفِ لَيْلٍ طَويلِ أَوْ لِرَبْعٍ غَدَا العَفَاءُ مَرَاحَهْ

إِنَّمَا عَبْرَتي لِخَطْبٍ ثَقيلٍ قَدْ عَرَانَا وَلَمْ نَجِدْ مَنْ أَزَاحَهْ

تلك البلاد الجميلة التي يستعيد الشاعر أيام عشقه ولهوه فيها :

أَنَا يَا تُونُسُ الجَميلةُ في لُجِّ الـ ـهَوَى قَدْ سَبَحْتُ أيَّ سِبَاحَهْ
شِرْعَتي حُبُّكِ العَمِيقُ وَإنّي قَدْ تَذَوَّقْتُ مُرَّهُ وَقُرَاحَهْ[1]

ذاكرة الشاعر الامتداد الخالص للوطن ماضٍ لا يمضي إلا وهو يسطع في ذاكرة الشاعر الرومانسي، فهي ديار السلام وأرض الهنا، فهو مهموم بقضية الوطن العربي، والقضية الفلسطينية؛ ذلك مثلما يتحدث إيليا أبو ماضي عن فلسطين، بعدما افتضح وعد بلفور وارتسم في الأفق مصير فلسطين القاتم على يد الغاصبين، والشاعر يتخذ من تلك القضية امتدادًا لحديثه عن فلسطين، وهي الرسالة القومية لشعراء التيار الرومانسي، فقضية فلسطين تمثل بعدًا قوميًّا – لشعراء التيار الرومانسي العربي– في سبيل حرية الأوطان؛ لأنها جزء من الوجود الشامل للأمة العربية ؛ يقول إيليا أبو ماضي :

دِيَارَ السَّلامِ وَأَرْضَ الهَنَا يَشُقُّ عَلَى الكُلِّ أَنْ تَحْزَنَا
فَخَطْبُ فَلَسْطينَ خَطْبُ العُلا وَمَا كَانَ رُزْءُ العُلَا هَيِّنَا
سَهِرْنا لَهُ فَكَأَنَّ السُّيُوفَ تَحِزُّ بِأَكْبَادِنَا هَهُنَا

ثم يوجّه خطابه لليهود قائلا :

فَقُلْ لِلْيَهودِ وَاَشْيَاعِهِمْ لَقَدْ خَدَعَتْكُمْ بُرُوقُ المنَى
أَلَا لَيْتَ بِلْفورَ أَعْطَاكُمُ بِلادًا لَهُ لَا بِلَادًا لَنَا
فَلَنْدَنُ أَرْحَبُ مِنْ قُدْسِنَا وَأَنْتُم أَحَبُّ إلى لَنْدَنَا [2]

يكتب الشاعر تاريخ فلسطين محاولا إيقاظ الضمائر العربية، من خلال مفردتين مكانيتين تعطيان وصفًا يعبق بالخير الذي تتصف به تلك البلاد "فلسطين"؛ فهي (ديار السلام–أرض الهنا) ... فكيف استحال إلى ديار الحرب وأرض

[1] – ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله – قدم له وشرحه : مجيد طراد ، الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ–١٩٩٤م،ص١٨٩–١٩٠.

[2] –إيليا أبو ماضي ، ديوان الخمائل ، دار العلم للملايين ،ط١٧ ، بيروت ، ١٩٨٧م ، ص ١٦٦

الخراب والبوار، إنه القناع البيئي– المكاني لمفردات الشاعر في استعادة حقب زائلة.

المبحث الرابع:

المكان بين التشكيل اللغوي والصورة الشعرية

المكان والتشكيل اللغوي:

"بلاغة المكان لا تتأسس إلا لغة؛ لأنَّ اللغة هي التي تعطي للمكان كينونته، وتشكل نَسَقَه العام في أسطره، أو أبياته، أو جمله الشعرية. وهي التي يؤرخ الشاعر من خلالها لتاريخ المكان ويرسمه في الذاكرة، لينتشل القصيدة المكانية من النسيان من بين آلاف القصائد التي حَمَلَت همَّ المكان، وحَمَّلَتْه قيمًا جمالية، ويحولها – بتحويل المكان نفسه – إلى إبداع استثنائي يؤطر عليه من بعد، كأنَّ الشاعر المُجيد يخرج بالمكان العادي من سرب الأمكنة، ويخرج – نتيجة ذلك – بالقصيدة من سرب القصائد. فالمبنى المكاني مع المبنى اللغوي، يشكلان معًا جسد النص وأداءه الفني" [1].

ولعلَّ أهمَّ ما تتميز به لغة الشعر الرومانسي، هو أنها تستمد مفرداتها من الطبيعة وتُحَمِّلُها دلالات شعورية جديدة، حَسْبَمَا الحالة النفسية التي تنتاب الشاعر؛ ذلك يشبه إلى حدٍّ كبير العبارة التي صاغها لورانس بويل : وهي "الخيال البيئي" ؛ فهي تشير إلى الكيفية التي شَكَّل بها البيئة المادية للخيال، فقد انتبه في دراسة الثقافة الأدبية في نيو إنجلاند بالولايات المتحدة إلى أنَّ هناك شيئًا يمكن أن يُسَمَّى "مناظر نيو إنجلاند والروح" .

[1]–جماليات الكان في الشعر الجزائري المعاصر ، ص ٣١٤ .

" حيث يتبين من هذا التعريف إمكانية الجمع بين البيئة المادية مع موقف يشير إلى وجود "الجغرافيا الثقافية للمنطقة" .. هذا هو السبب في وجود الخيال الحَضَري أو خيال الجزيرة، حيث يؤثر المكان على النهج الروحاني"[١].

من ذلك ما أضفاه جبران خليل جبران من سحر وجاذبية لا تكونان سوى في الجنان، ذلك الجمال السحري هو للغاب (المكان)، الذي هو البطل الرئيس والمتغلب بسحره وجاذبيته على (القصور)، بالتعريف والجمع لتصبح تلك الميزات التي ذكرها للغاب أسلوبيمات stylemes[٢]، يقول جبران خليل جبران :

هَلْتَخِذْتَ الغَابَ مِثْلِي مَنْزِلا دُونَ القُصُورْ ؟
فَتَتَبَّعْتَ السَّوَاقِي وَتَسَلَّقْتَالصُّخُورْ
هَلْ تَحَمَّمْتَ بِعِطْرٍ وَتَنَشَّفْتَ بِنورْ؟
وَشَرِبْتَ الفَجْرَ خَمْرًا فِي كُؤوسٍ مِنْ أَثِيرْ؟[٣]

المكان والصورة الشعرية:

الصورة الشعرية ليست مجرد تزيين ولا حلية زائفة، لكنها جوهر الشعر، هي التي ترتقي بالشعر إلى شعريته، فيتأسس بناء عليها، مهما كان العنصر المكاني الذي ترتكز عليه أو تستند إليه في بنائها .... وهي لا توجد في العمل الشعري وحدة قائمة بذاتها لها أبعادها الجمالية الذاتية " [٤]. وإنما تتداخل في

[١]–مجلة الفصول "النقد الأدبي وتداخل الاختصاصات" –المجلد٢٦/٢–العدد١٠٢، شتاء ٢٠١٨م ، ص٣٣١.

[٢]–جمع أسلوبيم ، على غرار مورفيم ، وفونيم ، في اللسانيات والأسلوبيات وحدات حقيقية للمعنى في السيميائيات البصرية والـ styleme سمة قابلة للتكرار ،ويمكن تمييزها في أسلوب المخرج السينمائي ، تحمل توقيعه ، وبصمته الخاصة .

[٣]– جبران خليل جبران ، ا لأعمال الكاملة ، ص ٨٢١ .

[٤]– كمال أبو ديب: جدليةالخفاء والتجلي– دراسات بنيوية في الشعر، دار العلم للملايين،ط٤,١٩٩٥م،ص٢٤.

تشكيل النص ككل وفي تركيبه لتُسْهم مع جملة من العناصر الجمالية الأخرى في بلورة النص الشعري وتمييزه عن غيره .

ومثال الصورة التي احتفت بالمكان في الشعر الرومانسي، نجد قول ناجي:

والبِلَي أَبْصَرْتُهُ رَأْىَ العَيَانْ وَيَدَاهُ تَنْسِجَانِ العَنْكَبُوتْ

صِحْتُ يَا وَيْحَكَ تَبْدو في مَكَانْ كُلُّ شَيءٍ فِيهِ حَيٌّ لا يَمُوتْ[1]

والتناقض في البيتين يرفع حدة التوتر لدى الشاعر، وفي المكان البطل الرئيس هنا، حيث بيت أحبابه، ففي الصدارة البِلَي المسيطر الذي اعترف به الشاعر منذ البداية " البِلَي أَبْصَرْتُه "، لكنه التأثير المتناقض "، الذي تولده استعادة ذكريات الشاعر، وتشكيلها لموجة من انفعالاته، بحيث تتحول من أشياء ميتة، إلى علامات قوية جدًّا في المكان والزمان، حتى لتصبح بانفعال الشاعر "حيٌّ لا يموت" !

ويورد الدكتور عبد الحفيظ حسن أبياتًا للشابي يصف فيها الغاب وصفا نفسيا رائعا في قصيدته «الغاب»، "وهو لا يصفه بل يحس به إحساسا قويا جِارفا، فيقول:

[1]–إبراهيم ناجي ، ديوانه ، ص٢٢

بيتٌ بنتْه لـيَ الحياةُ من الشَّذَى والظـــلِّ والأضـــواءِ والأنغـــامِ
بيت من السِّحر الجميلِ مشيَّدٌ للحـــبِّ والأحـــلام والإلهـــامِ
فـي الغـابِ سِـحرٌ رائـعٌ متجـددٌ بـــاقٍ علـــى الأيـــامِ والأعـــوامِ
وشذىً كأجنحـةِ الملائكِ غامضٌ ســاهٍ يرفـرفُ فـي سـكونٍ سـامِ
وجـداولٌ تشـدو بمعسـولِ الغِنـا وتســيرُ حالمـــةً بغيـــرِ نظـــامِ
ومخـارفٌ نسـجَ الزمـانُ بسـاطَها مـــن يـــابسِ الأوراقِ والأكمـــامِ
وحَنـا عليهـا الـدَّوحُ فـي جَبروتِـه بالظـــلِّ والأغصـــان والأنســـامِ

في هذه الأبيات أحسَّ الشاعر ذلك الإحساس المرهف، وتساءل هل وجدت بيتا بُنى من الشذى والظل والأضواء والأنغام والسحر؟! ولكن لماذا بنى هذا البيت؟، إنه لم يبن إلا للحب والأحلام والإلهام، وكأنه بني له وحده. أرأيت جداول تشدو بالنشيد، وذلك النشيد معسول؟!، وكأنه يريد أن يقول إن ماء هذه الجداول عسل، وهذا البيت ليس خاليا مجدبا، ولكنه مليء بالسحر والتجدد، وترفرف عليه النسائم، كأنها أجنحة الملائك، لما تحفه بالرحمة والعناية، وهو ليس وحيدا في غابه بل معه الجداول، كأنهن فتيات حالمات يتخطرن على أبسطة طبيعية صنعتها يد الله –سبحانه وتعالى– من الأوراق اليابسة، تزينها الزهور المتفتحة، ويشبه الأدواح بالأم التى تحنو على أبنائها، وتضمهم في ظلها وتحتضنهم بين أغصانها. هكذا نشعر بمدى إحساس الشابي بالأمان والسعادة في ظل الطبيعة."[1]

المكان والإيقاع :

١– الرومانسية في الشعر العربي المعاصر: شعر أبي القاسم الشابي نموذجًا، مرجع سابق، ص: ١٢٢.

" الشاعر يلجأ إلى إعادة بناء هذا العالم وفق رؤى مختلفة وسياقات فنية جديدة "[١]. وقد تحقق ذلك لدى الشاعر الرومانسي إن على المستوى الصيغي أو المستوى الموسيقي والإيقاعي، فمن أجل الاحتفاء بالمشاعر الذاتية الفردية في هذا المذهب، وهروبهم إلى الطبيعة؛ فإنهم "أَنِسُوا القول في الأبحر ذات الواقع الخفيف الهامس أو ذي الحركات الراقصة من مثل الرَّمَل أو الخفيف أو الهزج، وقلَّما استعانوا بالبحور ذات النبرة الخطابية والرنين العالي كالبسيط والطويل والوافر"[٢]. كما حاولوا التصرف في توزيع أوزان الشعر توزيعًا جديدًا في معظم مقطوعاتهم وقصائدهم مستفيدين من تراث الشعر العربي، باحثين عما كان فيه مرتبطًا بالتطور الذي أحدثته حركات التجديد التي صاحبته في العصور القديمة، قد استفادوا أيضًا من منجزات الشعر الغربي دون الخروج على الإطار العام للشعر العربي .

- يقول نسيب عُرَيْضَة :

كَفِّنوهُ .... وادْفِنُوهُ

أَسْكِنوهُ

هُوَّةَ اللَّحدِ العميقِ

وإذَا نَهَبوا،لا تَنْدِبوهُ، فَهْوَ شَعْبٌ

مَيِّتٌ لَيْسَ يُفِيقُ[٣]

---

[١]– فاطمة الشيدي : المعنى خارج النص "أثر السياقات في تحديد دلالات الخطاب" ، دار نينوي، دمشق، ٢٠١١م ، ص٨٨.

[٢]– " التيار الرومانسي في الشعر العربي الحديث – دراسة تحليلية تاريخية " ، ص ٢٣٦–٢٣٧ .

[٣]– نسيب عريضة ، ديوان " الأرواح الحائرة " ، ص ٦٥–٦٦.

"إنَّ القصيدة هي نتيجة تفاعلٍ بين الشاعر وواقعه، وكلِّ ما يتصل به من مؤثرات تتفاعل معه لتنتج قصيدة ذات صياغة فنية محكمة تولد لحظة جمالية"[١].

أمَّا القافية فهي متنوعة؛ فالهاء روي وهي مطلقة هنا، تصيح وتندب شعبًا هوت قوته، فحق له القتامة والبؤس القابع في شق القافية الآخر، القاف حيث "هوة اللحد العميق" ... ذلك المكان الذي هو علامة سيميائية بارزة حول هاجس الفناء وانقضاء الأمر، وهي نزعة عدم الجدوى لدى الشاعر.... كل ذلك يتآزر مع الاستسلام واللامبالاة بشعب عاجز بدا عجزه في تفعيلات بحر الرمَل الذي نوَّع الشاعر عدد تفعيلاته في كل شطر حسبما نَفَسه الشعري .

الخاتمة:

بعد هذا التطواف في الشعر الرومانسي لاستخراج جماليات المكان فيه نستنتج ما يلي:

٧- أنَّ المكان من أهم العناصر التي تشكل جمال النص بوجه عام.

٨- أنَّالرومانسيين قد عانوا الاغتراب الحقيقي والمعنوي عن المجتمع والوطن والأهل وتجلى ذلك في شعرهم.

٩- ظهر ملمح استعادة الماضي المجيد بمفرداته البيئية عند شعراء الرومانسية وبخاصة الشابي.

١٠- أنَّأهم ما تتميز به لغة الشعر الرومانسي هو أنها تستمد مفرداتها من الطبيعة وتحملها دلالات شعورية.

١١- احتفت الصورة الشعرية بالمكان عند الرومانسيين خاصة إبراهيم ناجي.

[١]-عامر رضا ؛ سيمياء العنوان في شعر هدى ميقاتي ، ص ٢٧٠ .

١٢- أنَّالرومانسيين اتجهوا إلى بحور الرَّمَل والخفيف والهزج وقلَّما استعانوا ببحور البسيط والطويل والوافر.

المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

١- ديوان إبراهيم ناجي، شرح وتحقيق، مجيد طراد، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

٢- ديوان "الأرواح الحائرة" : نسيب عريضة، ط نيويورك ١٩٤٦م.

٣- ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله – قدم له وشرحه : مجيد طراد، الناشر : دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٤-ديوان الخمائل:إيليا أبو ماضي،دار العلم للملايين،ط١٧، بيروت، ١٩٨٧م.

ثانيا: المراجع:

١- " الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ": عبد القادر القط، دار النهضة العربية والنشر، ط٢، بيروت، ١٩٨١م .

٢-" الأدب والبيئة " مقال – لورنس بيل، أورسولا ك، هيس، كارين ثوربنر، ترجمة : معتز سلامة، مجلة الفصول .

٣-" أطياف الربيع " : أحمد زكي أبو شادي، القاهرة ١٩٣٣م.

٤-التجديد في شعر المهجري:أنس داؤود،دار الكتاب العربي- القاهرة ١٩٦٧م.

٥- (التيار الرومانسي في الشعر العربي الحديث – دراسة تحليلية تاريخية) رسالة دكتوراه – جامعة النيلين /كلية الدراسات العيا/قسم اللغة العربية/إعداد: أسامة خليل عبد الحافظ، إشراف: د.عبد الله محمد أحمد، ٢٠٠٩م .

٦- جدلية الخفاء والتجلي- دراسات بنيوية في الشعر: كمال أبو ديب، دار العلم للملايين، ط١٩٩٥،٤م.

٧- "جماعة أبولو وأثرها في الشعر الحديث": د. عبد العزيز الدسوقي، معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة، ١٩٦٠م.

٨- الجمالية عبر العصور:إتيان سورير،ترجمة ميشال عاصي،منشورات عويدات، ط٢، ١٩٨٢م.

٩- الجمالية في الفكر العربي : عبد القادر فيدوح، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا،ط١، ١٩٩١م .

١٠- " جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر " رسالة دكتوراه – الباحث : محمد الصالح خرفي، إشراف الأستاذ الدكتور : يحيى الشيخ صالح، كلية الأداب واللغات – جامعة منتوري قسنطية، ٢٠٠٥-٢٠٠٦م.

١١- الدراسات الثقافية " مقدمة نقدية ": سايمون ديورنغ، ترجمة : ممدوح يوسف عمران، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة ٤٢٥، الكويت، يونيو ٢٠١٥م .

١٢- دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه، محمود محمد شاكر، الهيئة العامة للكتاب، مصر،ط١، ٢٠٠٠م .

١٣- الرومانسية في الشعر العربي المعاصر: شعر أبي القاسم الشابي نموذجًا، د.عبد الحفيظ محمد حسن، مكتبة الآداب، ط١، القاهرة، ٢٠٠٩م.

١٣- "الشعر العربي الحديث":محمد بنيس، بنياته وإبدالاته الرومانسية العربية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، د،ت.

١٤- شعر ناجي- الموقف والأداة":د.وادي طه،دارالمعارف، القاهرة، ط٢،١٩٨١.

١٥- " فلسفة الحب عند العرب ": عبد اللطيف شرارة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ط".

١٦- سيمياء العنوان في الشعر هدى ميقاتي: عامر رضا، ضمن كتاب : واقع الدراسات النقدية العربية الحديثة، مؤتمر النقد الدولي الرابع عشر من ٢—٤

تموز–يوليو ٢٠١٣م، إشراف وتحرير: مي أحمد يوسف وأحمد محمد أبو دلو، عالم الكتاب الحديث، إربد، ٢٠١٤م .

١٧– شعرية العنوان كتاب الساق على الساق فيما هو الفارياق: محمد الهادي المطوي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد ٢٨، العدد ١،يوليو – سبتمبر ١٩٩٩م.

١٨– عبد الرحمن شكري، ديوانه، جمع وتحقيق "نقولا يوسف، دار المعارف بالإسكندرية، ١٩٦٠م، جـ١ "ضوء الفجر"، من قصيدة "عصفور الجنة، وهي ضمن قصائد الجزء الثالث من ديوان شكري .

١٩– فلسفة الأدب والفن: كمال عيد، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، ط١، ١٩٧٨م.

٢٠– الكلام السامي "نظرية في الشعرية": جان كوهن، ترجمة وتقديم وتعليق: محمد الولي، دار الكتاب الجديد، بيروت٢٠١٣م،ص٦١، وانظر، إيف ستالوني: الأجناس الادبية، ترجمة: محمد الزكراوي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١٤م.

٢١– لسان العرب: ابن منظور، تصحيح: أمين عبد الوهاب ومحمد صادق العبيدي،ج٢، دار إحياء التراث العربي،مؤسسة التاريخ العربي،بيروت،ط١ ١٩٩٦م.

٢٢– لورنس بيل/أورسولا ك.هيس/ كارين ثوربنر،ترجمة معتز سلامة، مقال بمجلة فصول الأدبية.

٢٣– مجلة الفصول "النقد الادبي وتداخل الاختصاصات" – المجلد ٢/٢٦– العدد ١٠٢،شتاء ٢٠١٨م – مقال بعنوان "النقد البيئى–دراسة بيئية في الأدب والبيئة"– جيليكا توشيتش، ترجمة: سناء عبد العزيز .

٢٤-معجم المصطلحات الأدبيةالمعاصرة:سعيد علوش(عرض وتقديم وترجمة)، دار الكتب اللبناني، بيروت، سوشبرس، المغرب، ط١، ١٩٨٥.

٢٥- المعنى خارج النص " أثر السياقات في تحديد دلالات الخطاب " : فاطمة الشيدي، دار نينوي، دمشق، ٢٠١١م.

٢٦- مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ : ميشال عاصي، مؤسسة نوفل، بيروت، ط٢، ١٩٨١م .

٢٧- مفاهيم جمالية في الشعر العربي القديم: محمد مرتاض، محاولة تنظيرية، وتطبيقية، د.م.ح، الجزائر،ط١،١٩٩٨م .

٢٨- المكان العراقي "جدال الكتابة والتجربة":لؤي حمزة عباس، دراسات عراقية للنشر، بغداد،٢٠٠٩م .

٢٩- الوساطة بين المتنبي وخصومه: القاضي الجرجاني، تقديم وتحقيق : أحمد عارف الزين، دار المعارف للطباعة والنشر تونس،ط١،١٩٩٢م.